

التأخر الدراسي بين عجز المدرسة وحيرة الأسرة

" أي إجراء علاجي "

د.لورسي عبد القادر

أستاذ مساعد – أ

جامعة سعد دحلب البليدة

ملخص :

يتناول هذا البحث ظاهرة التأخر الدراسي التي يعاني منها عدد ملحوظ من الأطفال في مدارسنا وهم في أمس الحاجة إلى تكفل متعدد الأبعاد نفسي، أكاديمي، تربوي ذو نوعية. ويتجه التفكير في هذا البحث إلى إبراز دلالة التأخر الدراسي كمفهوم وكذا تبيان مظاهره وأعراضه وأسبابه والوقوف على المعطى الجوهرى فيه وهو صعوبات التعلم وانعكاساتها ومآلاتها وضرورة الكشف عنها ومعالجتها. كما يركز هذا البحث على دور المدرسة والأسرة في التعامل مع الظاهرة وتقديم الأساليب العلاجية الملائمة وهي أساليب تندرج في سياق تعليم مكيف يضمن للطفل مسارا دراسيا مفتوحا على النجاح والارتقاء في هرم التحصيل المعرفي.

Résumé :

La présente étude aborde le phénomène du retard scolaire dont souffre un grand nombre d'enfants au sein de nos écoles, qui sont dans l'extrême besoin d'une prise en charge multidimensionnelle : psychologique, académique, et pédagogique de qualité. La réflexion de cette présente recherche s'oriente vers la mise en évidence de la signification du retard scolaire comme concept ainsi que ses manifestations, ses symptômes, ses

causes et l'analyse de sa donnée fondamentale en l'occurrence les difficultés d'apprentissage, leurs répercussions et retombées ainsi que la nécessité de leur diagnostique et remédiation. Le rôle de l'école et de la famille y sont interpellés ainsi qu'une présentation de modèles remédiatifs qui s'inscrit dans le contexte d'un enseignement adapté qui assure à l'enfant un cursus scolaire ouvert sur le succès, l'aide à escalader la pyramide des acquisitions cognitives et à progresser de manière équilibrée dans le trajet de la scolarité.

الإشكالية:

التأخر الدراسي يلغم مجتمعنا، ففي كل سنة تتراكم أعدادا هائلة من التلاميذ في خانة من لم يستطيعوا مسابقة الدرب الدراسي ويجدون أنفسهم يتخبطون في معضلة الفشل، هؤلاء الذين تتناهم مشاعر الدونية ويخيم عليهم شبح الإقصاء فيعيشون وضعيتهم كضحايا لما يصيبهم من تأخر وضعف في التوافق الدراسي.

وتسعى المدرسة في ظل الضغوط المتعددة والمتنوعة الناجمة عن طبيعتها والعوامل المحيطة بها إلى أن تعطي التكفل الملائم للمتمدرسين لكنها مع ذلك تعاني عجزا ملحوظا في التصدي للتأخر الدراسي الذي يصيب عددا ملحوظا من التلاميذ مثلما تبين ذلك الإحصائيات الرسمية من خلال الأرقام المرتفعة، وبالمقابل فإن الأسرة بطموحاتها وبما تحمل من مشروع لأبنائها تقف حائرة أمام تلاشي قدرة الأبناء على إحراز النجاح والتقهر نحو منطقة الخطر التي ترمي بالطفل في عالم الفشل وما يترتب عنه من مآلات سلبية في مناحي الحياة.

إننا أمام ظاهرة معقدة ذات آثار مؤلمة بالنسبة للفرد أي الطفل وللأسرة التي تحتضنه من جهة وانعكاسات سلبية من جهة أخرى بالنسبة للمدرسة والنظام التربوي والإجتماعي عامة فهي تمثل إهدارا فعليا في ظل متطلبات العهد الراهن من تفوق معرفي وتكنولوجي

ومستوى تثقف للتكيف مع المجرى الحضاري والإنساني المتسم بالروح العلمية والساعي إلى استبعاد شبح الجهل والأمية باعتبارهما من المشكلات الحجمية.

وإلى جانب هذا فإنّ النظرة التي تعطي لإشكالية التأخر الدراسي بعدا ودلالة تتجلى في تصورين بارزين أولهما يوجه الاهتمام إلى الوضعية حيث أنّ التعلمات المقترحة في المدرسة هي غير ملائمة للتلميذ حتى ولو كانت تؤدي إلى المرور من قسم إلى قسم أي من مستوى لآخر. وبالحاصل فالتمدرس يجب أن يؤدي إلى الاندماج النشط في الوسط الاجتماعي والأسري والمهني. أما التصور الثاني فيتمثل في النظر إلى التأخر الدراسي من واقع الفارق بين النتائج المنتظرة من طرف التلميذ والنتائج المحققة أو المحصل عليها في هذه الحالة فإنّ التأخر يسجل بالنظر إلى «عتبة» وخسارة أو هدر بالنسبة للنظام المدرسي والمجتمع.

ويمكن في ظل ما سبق تلمس ظاهرة التأخر الدراسي وواقعه في بلادنا من خلال المعطيات الإحصائية ولو أنها خاصة بفترات زمنية محدودة إلا أنّها تعكس حجم المشكلة وضرورة التفكير في التكفل به، لأنه يشكل بالفعل مشكلا حجميا تعاني منه الأسرة والمدرسة بشكل كبير.

وبناء على ما تقدم و من منطلق تشخيص ظاهرة التأخر الدراسي في بلادنا وتقويمها الكمي والوقوف على آثارها وفلول العجز في مواجهتها على الصعيدين المدرسي والأسري وعلى ضوء نماذج التكفل العلاجي المستخلصة من الدراسات التي أجريت في الموضوع وسعيا نحو تمكين المدرسة والأسرة من التعامل الملائم مع هذه الظاهرة نحاول فيما يلي الإجابة عن التساؤلات التالية:

- ما هي معالم ومؤشرات التأخر الدراسي؟
- ما هو الحجم الذي بلغته هذه الظاهرة في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة من التعليم؟

- ما طبيعة مجهودات التكفل بها وما مدى فعالية الدور المدرسي و الأسري في ذلك؟

وقفة حول التحديد اصطلاحى:

التأخر الدراسي هو:

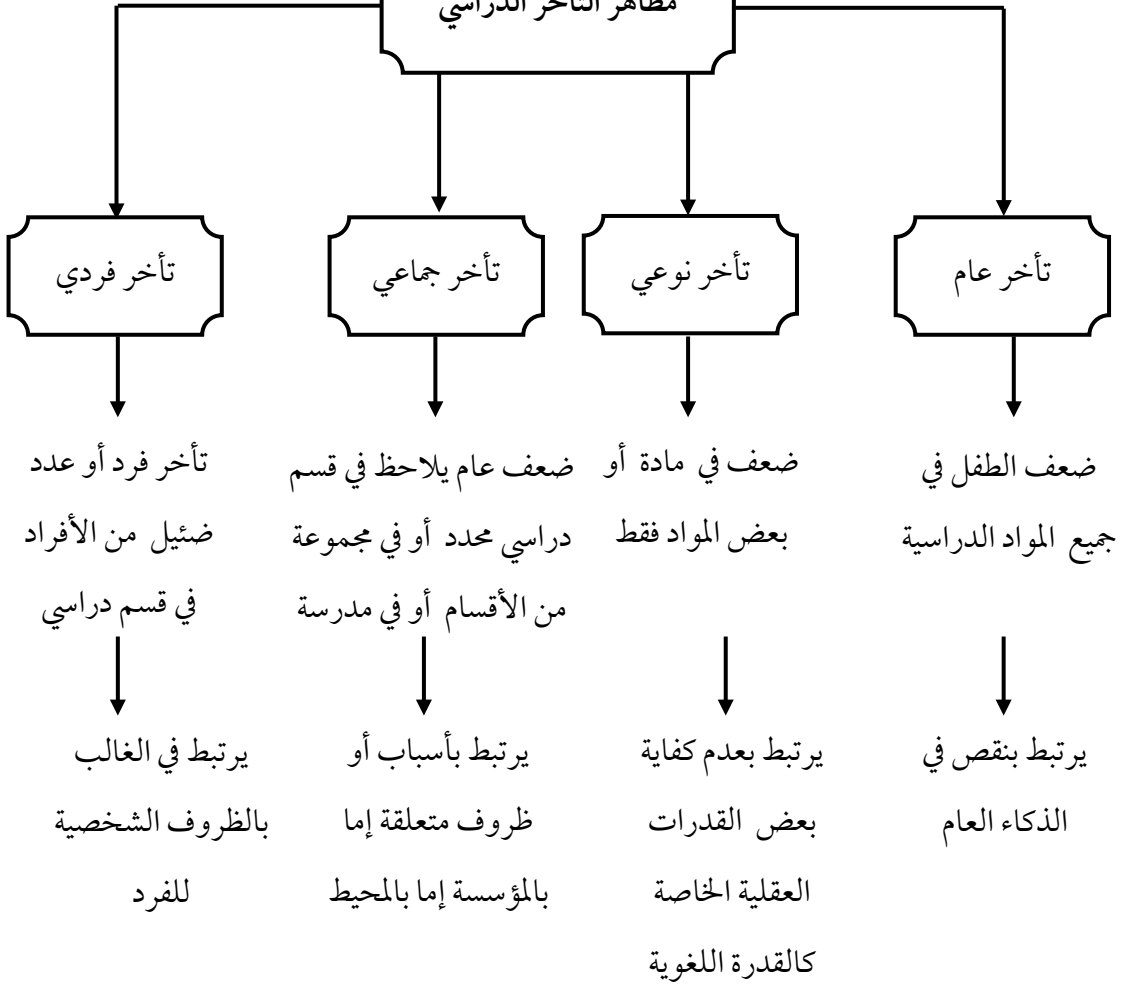
- حالة من الانخفاض والتعطّل في الدراسة.
- انخفاض نسبة التحصيل دون المستوى المتوسط
- ضعف واضح في الدراسة لدى الطفل مقارنة بغيره من الأطفال العاديين من ذوي سنه.

- الفارق بين مكتسبات التلميذ والتعلّمات المنتظرة بالأخذ في الاعتبار سنه ومستواه الدراسي.

التأخر الدراسي يبدأ بالمعاناة من صعوبات التعلم التي إذا لم يعالج تؤدي إلى الفشل الدراسي الذي يؤدي بدوره إلى الرسوب وهذا بدوره يفتح الباب للتسرب.

و من باب الوضوح و التلخيص نقدم في شكل مصنف مظاهر و أعراض و أسباب هذه الظاهرة بأقصى ما تحتاجه من تحديد :

مظاهر التأخر الدراسي



أعراض التأخر الدراسي

العقلية

- عدم القدرة على التركيز
- اضطراب الفهم
- ضعف الاهتمام بالدراسة

الإنفعالية

- شروط الذهن
- الخمول
- القلق
- الشعور بالذنب
- الغيرة

الجسمية

- التوتر
- الحركات

أسباب التأخر الدراسي

الاجتماعية

- الانخفاض الشديد للمستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة
- كبر حجم الأسرة
- انخفاض المستوى التعليمي للوالدين

النفسية

- نقص الانتباه
- ضعف الذاكرة
- ضعف الثقة في النفس
- الشعور بالنقص
- المشكلات الانفعالية
- ضعف الدافعية
- نقص المثابرة

البيولوجية

- ضعف الحواس
- الضعف الصحي العام
- سوء التغذية
- اضطراب الكلام
- بعض الأمراض المزمنة

المشكل الأساسي بالنسبة للأطفال المتأخرين دراسيا هو المعاناة من صعوبات التعلم

و بالنظر إلى موقعه المركزي في إشكالية التعلم فإن مفهوم الصعوبة يحتاج إلى وقفة خاصة من حيث الضبط و التحديد و في هذا الصدد نقول أن الصعوبات بالمعنى الدقيق هي تلك التي أشير إليها في تعريف الصنافة الأمريكية "للعمليات النفسية الأساسية وتشمل صعوبات التعلم النمائية المهارات التي يحتاجها الطفل بهدف التحصيل في الموضوعات الأكاديمية، وتصنف هذه الصعوبات إلى:

- صعوبات أولية:

وهي التي تعتبر وظائف عقلية أساسية متداخلة مع بعضها البعض (انتباه - ذاكرة إدراك) فإن أصيبت باضطراب فإنها تؤثر على النوع الثاني من الصعوبات النمائية، وهي الصعوبات الثانوية.

- صعوبات ثانوية:

وهي الصعوبات الخاصة باللغة الشفهية والتفكير، وإذا حدث اضطراب لدى الطفل في العمليات النفسية السابق ذكرها (الصعوبات الأولية والثانوية) بدرجة كبيرة وواضحة ويعجز عن تعويضها من خلال وظائف أخرى، عندئذ تكون لديه صعوبة في تعلم الكتابة أو التهجي أو القراءة أو إجراء العمليات الحسابية وهي الصعوبات الأكاديمية.

- صعوبات التعلم الأكاديمية:

وهي مشكلات تظهر من قبل أطفال المدارس وتبدوا واضحة إذا حدث اضطراب لدى الطفل في العمليات النمائية السابق ذكرها، وتشمل على: صعوبات خاصة بالقراءة، صعوبات خاصة بالكتابة، بالحساب، صعوبات خاصة بالتهجي والتعبير الكتابي.

وحيث يظهر الطفل قدرة كامنة على التعلم، ولكنه يفشل في ذلك بعد تقديم التعلم المدرسي الملائم له عندئذ يؤخذ في الاعتبار أن هذا الطفل لديه صعوبة خاصة في النواحي الأكاديمية السابق ذكرها. (أحمد أحمد عواد 1998)

وبشكل أدق تعرف صعوبة التعلم بأنها تأخر نهائي أو عائق للتعلم ذو طابع مرحلي يتلاشى عادة بفعل تدخل ملائم. وعلى عكس الإضطراب فالصعوبة ليست ناتجة عن خلل وظيفي عصبي، بل هي ناتجة أو تتسبب فيها عدة عوامل داخلية وخارجية للفرد من مثل، بطء النمو، الظروف الاجتماعية-الاقتصادية الصعبة، الفوارق الثقافية، واللغوية، نقص أو ضعف الدافعية أو أحيانا محيط أسري أو مدرسي ضعيف الإستشارة (LEMIRE, 2006).

إن تلاميذ الذين يعانون من صعوبات في التعلم في الغالب لا يقيمون علاقة واضحة بين الأداءات التي يستطيعون تحقيقها والعلامات التي يتحصلون عليها، فالنتائج التي يحصلون عليها تبدو محصلة أو نتيجة متغيرات أخرى تفلت منهم مثل:

✓ سوء الحظ

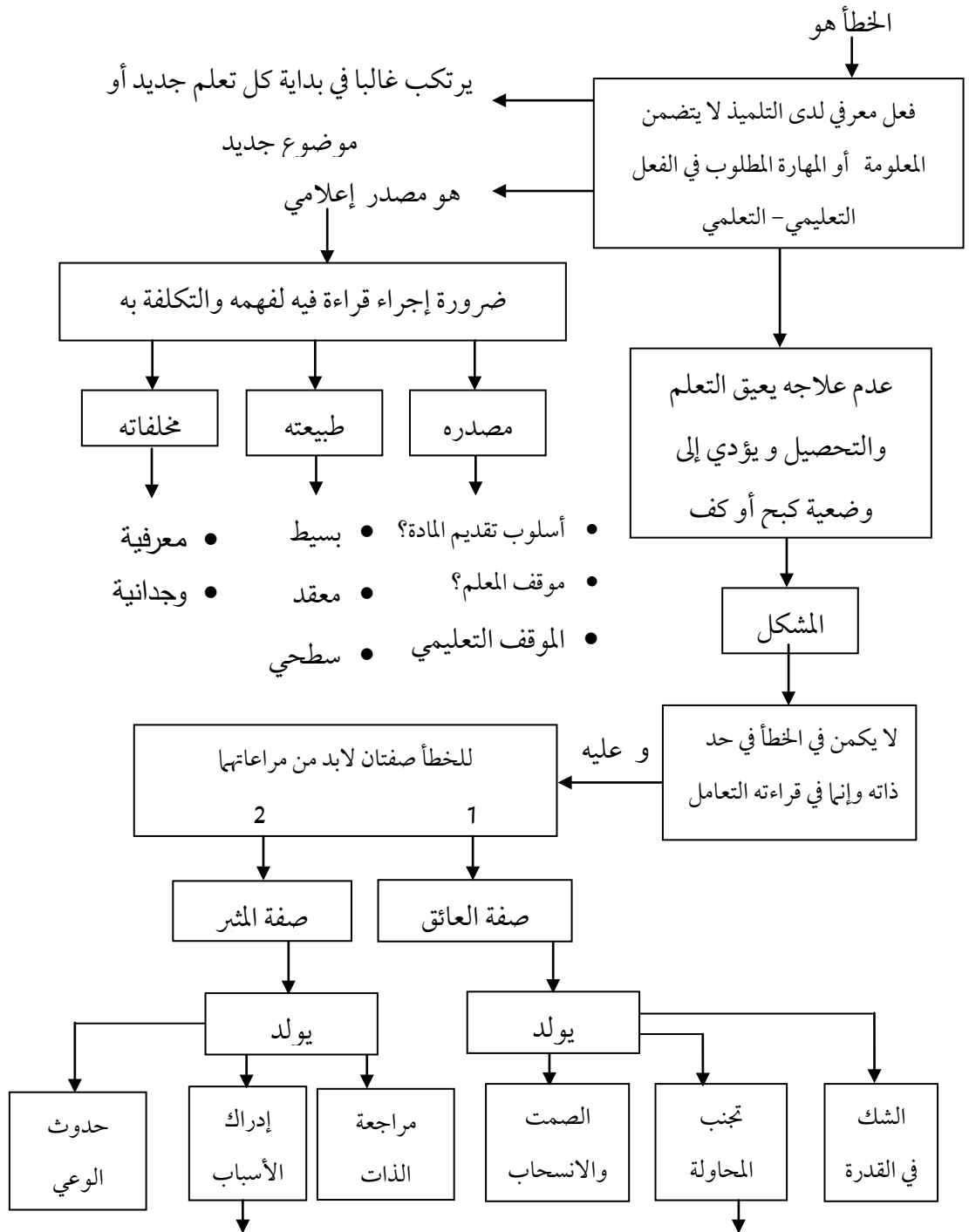
✓ عدم وضوح العمل المطلوب أو التمارين

✓ تسلط المعلم أو صاديقه

فهم يعطون لأخطائهم أسبابا ذات طابع خارجي يعيشون وضعيتهم أو حالتهم كضحايا لما يصيبهم من تأخر في التحصيل ونقص في التكيف.

هذا وتكتسي الأخطاء مكانة هامة في مجرى التعليمات والتعامل معها يحدد مآل هذه الأخيرة ومنه نحن في حاجة ماسة للوقوف عندها وتحليلها وفيما يلي تناول سريع لهذا التحليل:

موقع الخطأ التعليمي كمؤشر صعوبة في إشكالية التأخر الدراسي:



التفسير في ظل التحليل المقدم في النظريات النفسية المعرفية بياجيه

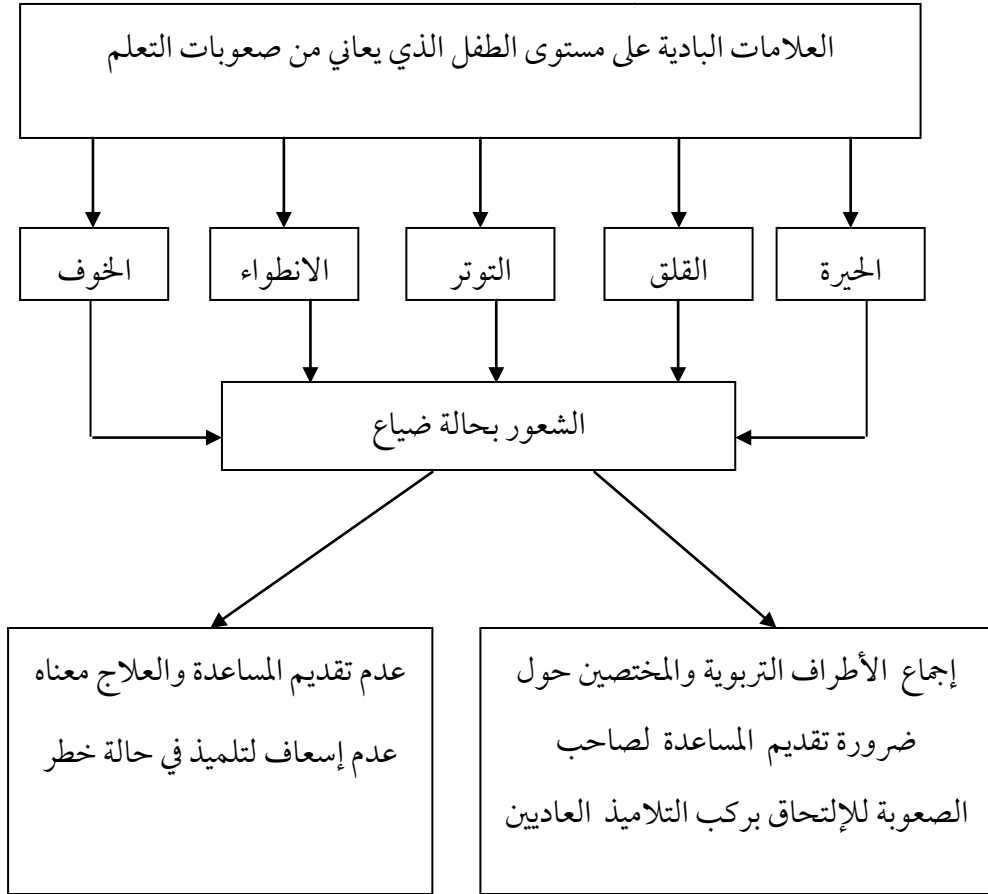
-119-

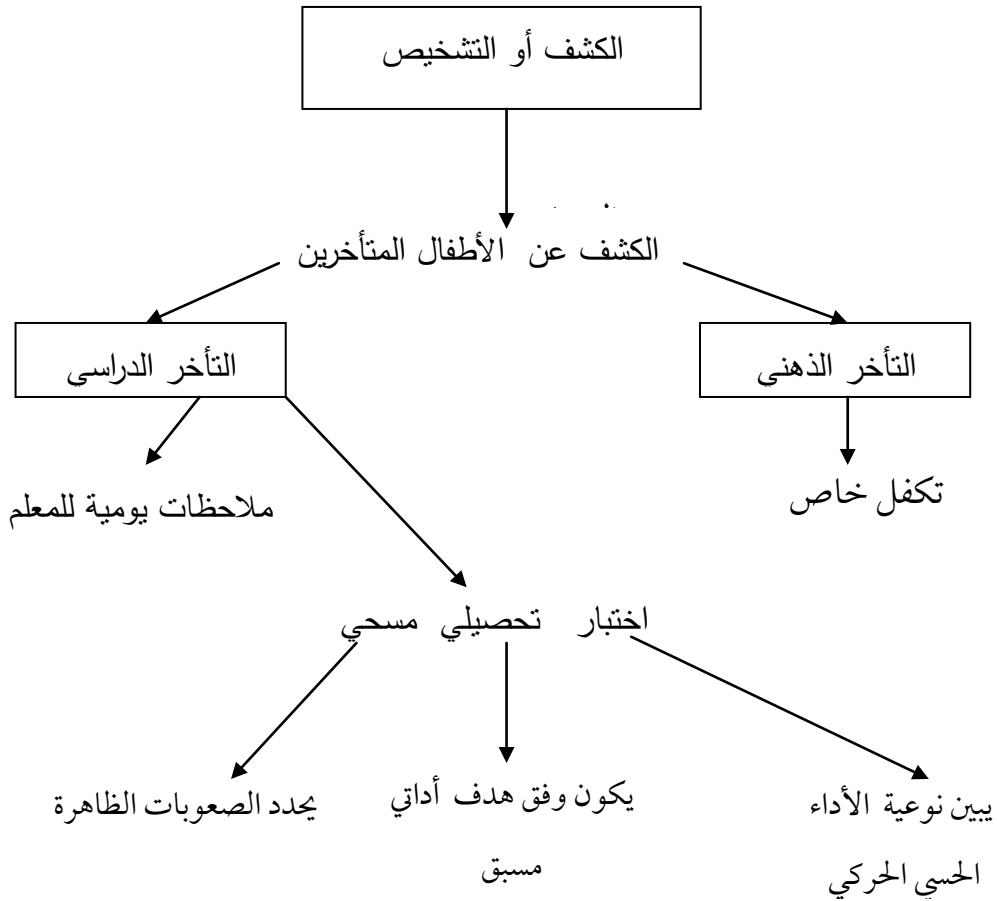
Piaget - فيجرتستكي Vigotsky - برونر Bruner

التفسير في ظل التحليل المقدم في نظرية

العجز المكتسب sligman

مخلفات صعوبات التعلم:





الشركاء في التشخيص:

الطبيب: الجانب الصحي والحواس أساسا
النفساني: القدرات العقلية الكشف النفسي والعقلي
المعلم والمدير والمفتش: الكشف التربوي

العوامل الجوهرية للسير السيئ للنظام المدرسي:

هذه العوامل عددها ثلاثة وهي كما بينها غي فيرماي Vermeil, 1996 كالتالي:

- فكرة أنّ كل معرفة لا يمكن نقلها إلاّ عن طريق المدرسة.
 - الصراع بين متطلبات مؤسسة جماعية ومتطلبات الأفراد الذين يأمنونها.
 - غياب الوعي الدقيق بالأهداف التربوية في ذهن المشرفين في مستوى المدرسة.
- المختبأ في عقل الراشدين أولياء كانوا أو معلمين أحكام مسبقة حول هرمية الانشغالات المرغوب فيها لتحقيق نمو الطفل، ففي هذا الصدد تأتي في المقدمة التعلّيمات المدرسية الكلاسيكية إذ المفيد والنبيل هو تخصيص حصة الأسد لتعلم النحو، الحساب وبقدر ما يظهر ذلك عسيرا بقدر ما تبدو فيه خصال ويعتبر ثانويا كل ما يتعلق بتربية الجسم بتدريبات رياضة وكذلك ليس هناك أهمية لتخصيص وقت وافرا للنشاطات اليدوية والفنية حتى ولو أنّ الطفل يبدي فيها مواهب خاصة.

الصراع بين الفردي والجماعي:

العائق الجوهرية الذي تصطدم به كل مؤسسة في سياق منح تربية في نطاق جماعي يتمثل في الصراع بين الفردي والجماعي. فمن جهة هناك رغبة في السير دون تصادم لمنهاج وحيد ينجز وفق رزنامة هي نفسها أي موحدة ووحيدة بالنسبة لجميع التلاميذ، وتنظيم زمني ينطبق على الجميع، وغاية مشتركة ومنهجية وحيدة، فهذه الرغبة الموحدة تجدد نفسها في مواجهة مع أفراد يتصفون بفروق عميقة، يتابعون مشاريع ويخضعون لهرميات قيم لا تتلاقى إلاّ نادرا مع تلك التي تحملها المؤسسة.

إنَّ وجود الفروق الفردية ليس اكتشافا حديثا وإنما الحديث فيه يقودنا إلى تفحص الظاهرة من حيث مكانتها في النظام التربوي المنفتح على الجميع و المنفتح كذلك على تمدد فترة التمدرس .
غداة الحرب العالمية الثانية كان عدم تجانس التلاميذ يتوج ببساطة برفض أولئك الذين لا يتكيفون مع النظام، في الوقت الحالي هؤلاء الغير متكيفين يمكنون في المدرسة فيغادروا الابتدائي لينتقلوا إلى المتوسط الذي يحتفظ بهم و هم منقوصون فقط من بعض السمات المطلوبة من طرف النظام المدرسي ويمكن أن يكونوا حاملين مزايا مهمة لكن النظام المدرسي لا يعترف بها بل قد يحتقرها .

بالنسبة هؤلاء الأطفال فإن تمدد (تمديد) فترة التمدرس مثلما هو متصور حاليا يعتبر لا يطابق *calmité* ليس فقط أنه لا يقدم لهم شيء، ولكن الأمر أنه يحطمهم من كثرة سماعهم بشكل متكرر ولسنوات أنهم لا يصلحون لشيء، فيقتنعون من أنفسهم أنهم فاشلون فيفقدون الثقة في أنفسهم بشكل شبه نهائي . وبذلك فإن عدم النجاح المدرسي يصبح عدوانا على الشخصية في شموليتها ، والفشل في المدرسة يصبح فشلا في كل الحياة وهذا لا يغتفر على حد تعبير فيرماي 1996 Vermeil .

نظام مدرسي بحاجة إلى أهداف محددة بدقة :

إذا كانت المدرسة لم تتمكن ولم تستطع التكيف مع المشكلات التي يطرحها عدم تجانس التلاميذ ، فهذا يعود بقدر كبير إلى أنها لم تستطع أو لم تعرف كيف تكيف أهدافها مع التغيرات الحاصلة في المجتمع وذلك طيلة الأربع أو الخمس عقود الأخيرة.

لا أحد يستغرب كما يقول فيرماي 1996 Vermeil أن الهدف ذو الأولوية في الوقت الراهن هو: النماء الشخصي الذي يأخذ في عين الاعتبار و إلى أقصى حد ممكن

الطاقات والقدرات الكامنة والبواعث الأصلية لكل تلميذ وهذا أمر يفترض مراجعة فكرة النموذج الحالي للنجاح المدرسي المفروض على كل الأطفال وذلك بالتموقع في متناول التلميذ و مساندته و مساعدته مستغلين في ذلك أقصى ما يملك من إمكانيات تساهم في توليد نجاحات جد متنوعة في مظاهرها مما يستلزم أنّ الفشل المدرسي يصبح غير مقبول INADMISSIBLE لأنّ كل الأطفال، حتى الأكثر إعاقة جسدياً أو ذهنيًا هم قادرون على إحراز تقدم. يجب أن نعي جيداً أنّ الفشل الدراسي ليس أبداً فشل الطفل لكنه فشل المربين، فشل الأولياء والمعلمين وأنّ تحميل الطفل مسؤولية فشله أمر لا يغتفر.

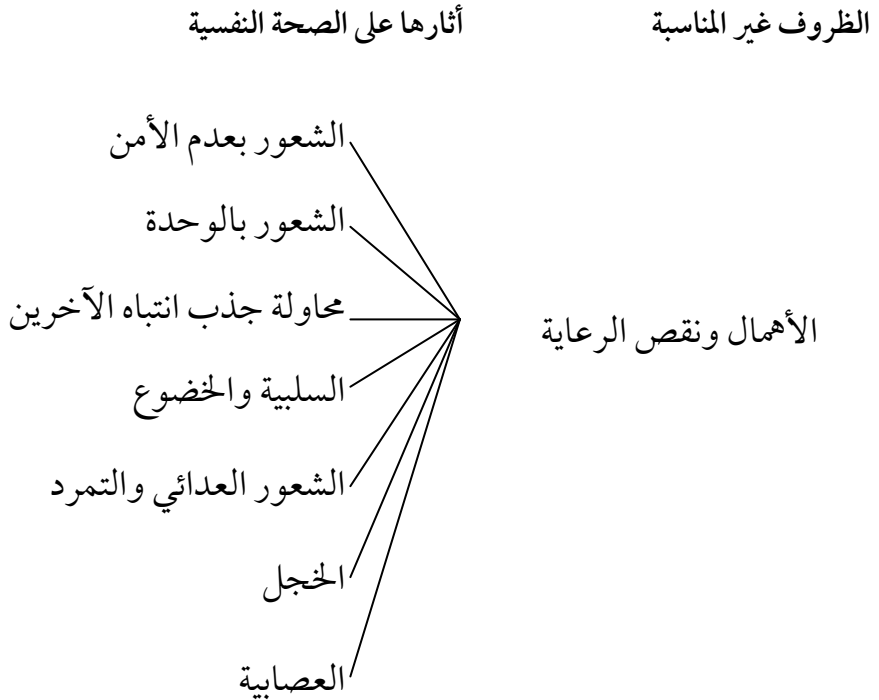
مهمة الأسرة:

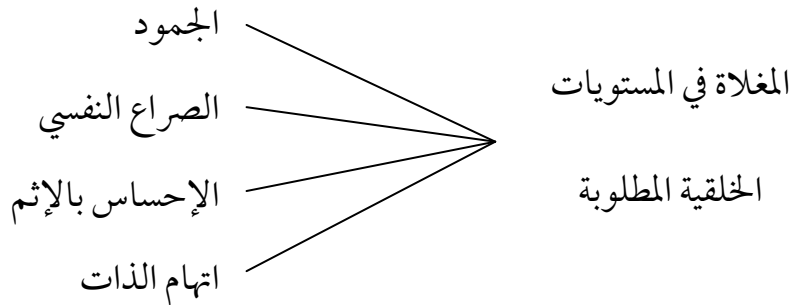
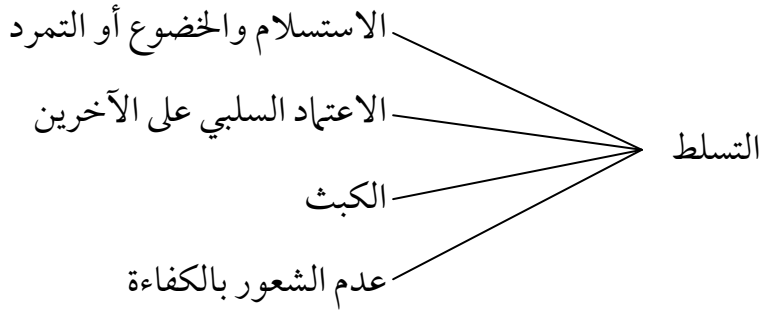
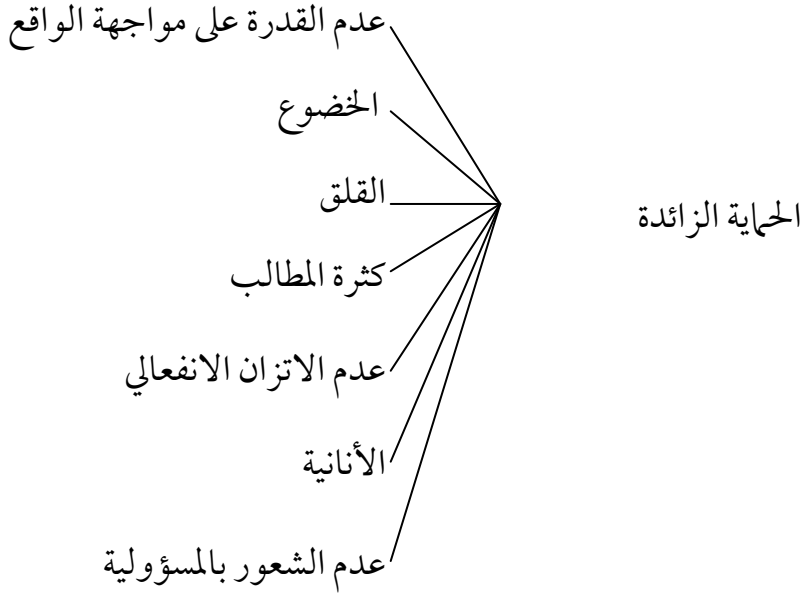
إلى عهد غير بعيد، كان نقل المعارف والمهات يتم في المنزل وفي الطبيعة وفي المشاغل أو الورشات. فالطفل كان يرى بعينه أبوه وأمه يعملان ويسعى إلى تقليدهما فهما اللذان كان يضعان بين يديه الوسائل والأدوات، وكانت اللغة تأتي في المقام الثاني كمكمل للبرهنة والممارسة العملية.

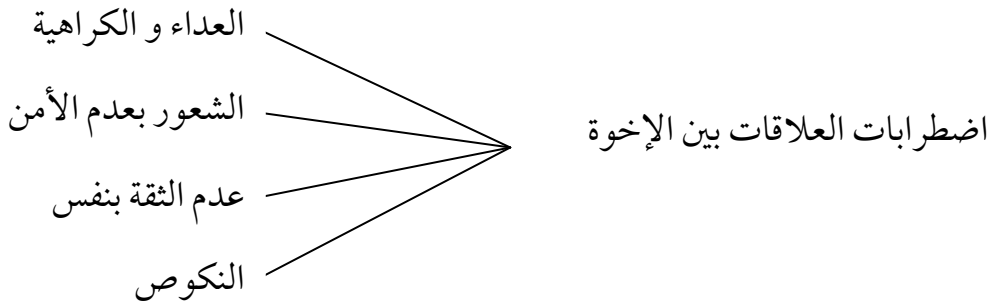
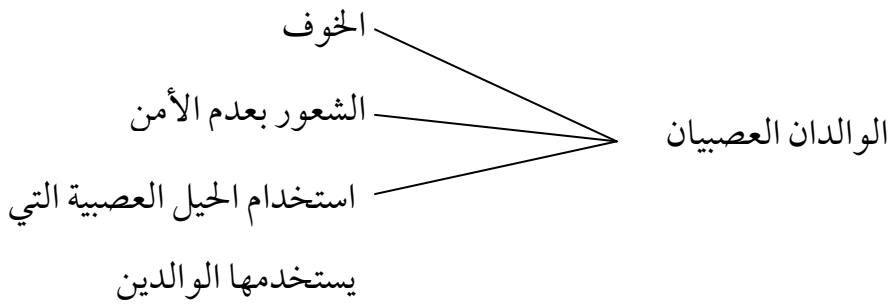
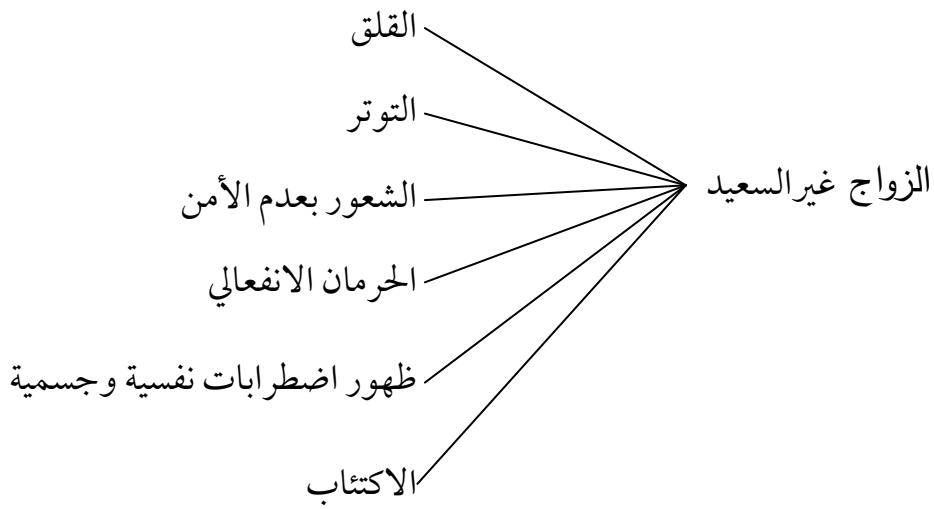
إن الآباء والأمهات في الوقت الراهن وجدوا أنفسهم في وضعية تربية اصطناعية بالكامل، فالمعرفة التي يتحملون جزءاً من مسؤولية نقلها لأبنائهم لم تعد هي معرفتهم الحقيقية. وهي لم تعد ثمرة تجربتهم المعيشة وأنّ حدث هذا فلا يتعدى حالات نادرة.

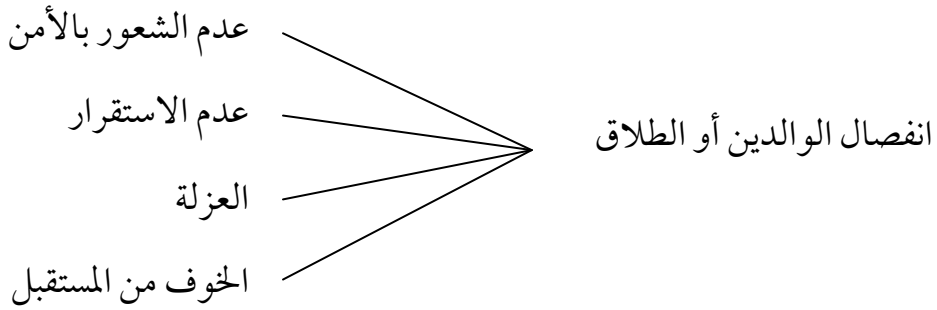
وهكذا، فإن الأطفال أصبحوا يسبحون في عالم نحن لا نقدر أحسن تقدير غرابته بالنسبة لهم، فهم يتلقون سيلا من المعلومات من كل جهة وبالأحرى من وسائل الإعلام والمدرسة ولكنها معلومات مجردة لا ترتبط إلا قليلا بالواقع الملموس. ولقد فضلنا وبشكل مبالغ فيه الجانب اللغوي كوسيلة للتواصل، وراهننا عليه معتقدين أننا بهذا نمكنهم من الاستفادة وإعادة تجربة الأسلاف. لكن الملاحظ أن بمنحاه التجريدي المتزايد واعتماده على هيمنة متعاضمة للتعبير الكتابي أصبح التعليم غير قابل للاستيعاب بالنسبة لعدد كبير من الأطفال.

الظرف غير المناسبة في الأسرة وأثارها على الصحة النفسية للطفل.









النماذج والمبادئ العلاجية:

أ- النماذج

هناك الكثير من المداخل يمكن إعتماؤها لتناول أو مقارنة وضعية التأخر الدراسي وتطورها والكلمات لا تنقص في هذا الصدد، فالحديث مفتوح بذكر الفشل الدراسي، صعوبات التكيف أو التعلم، إعادة السنة، ترك الدراسة، الرسوب، إن إعتما مدخل واحد في معالجة التأخر الدراسي ليس محايدا لأنّ ذلك لا يسمح بالكشف عن حجم وخطورة إشكالية التأخر الدراسي.

هذا وتمثل نماذج علاج التأخر الدراسي في أربعة نماذج يمكن تقديمها بشكل مختصر على النحو التالي.

1- النموذج الطبي:

يتمثل في العلاج الجسمي العام وعلاج ضعف النمو أو اضطرابه والاضطرابات الحسية الحركية، والاهتمام بتحسين تغذية التلميذ وإبعاده عن الإجهاد الجسمي وتنظيم وتيرة النوم.

2- النموذج النفسي:

التعديل أو الضبط الذاتي للسلوك وتدعيم الثقة بالنفس وتجاوز الآزمات التي تعترض التلميذ والتشجيع على الشعور بالنجاح وتحمل المسؤولية، والمساعدة على حل المشكلات الإنفعالية عن طريق التعاطف بعيدا عن الضغط والنقد اللاذع

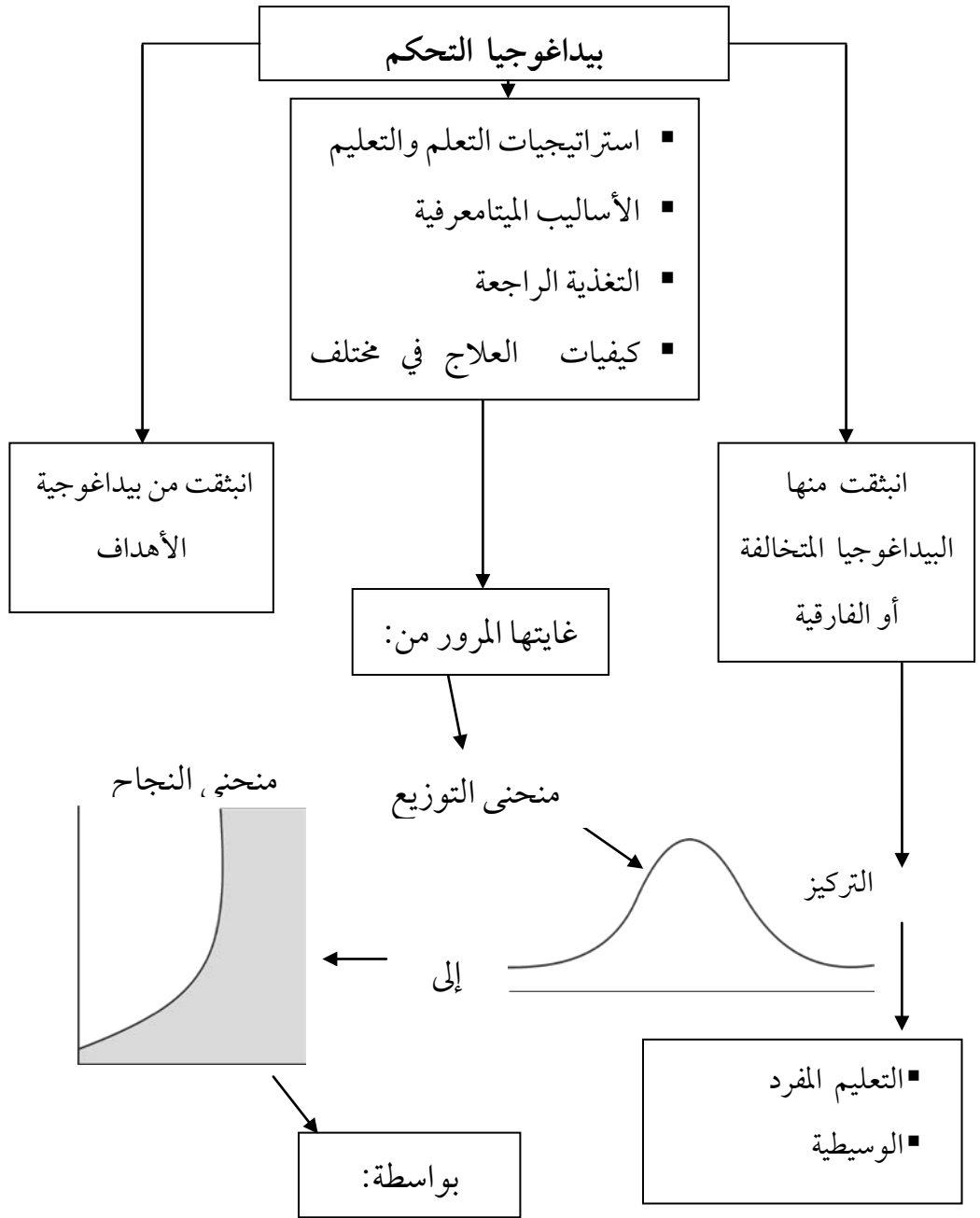
3- النموذج الإجتماعي:

تنظيم العلاقات داخل المؤسسة التعليمية.
إشراك الأسرة في العمل التربوي والتعليمي بالإضطلاع المتبادل على أوضاع التلاميذ وإطلاع الأسرة على وضع التلميذ المدرسي وإطلاع المدرسة على وضعه الأسري

4- النموذج التربوي:

- البيداغوجيا العلاجية في المراكز البيداغوجية.
- بيداغوجية الدعم وتمثل في استعمال تقنيات وأساليب تربوية.
- بيداغوجية التحكم (الإتقان) و فيها يوجه الاهتمام إلى التقويم التشخيصي والتحصيلي والتكويني.

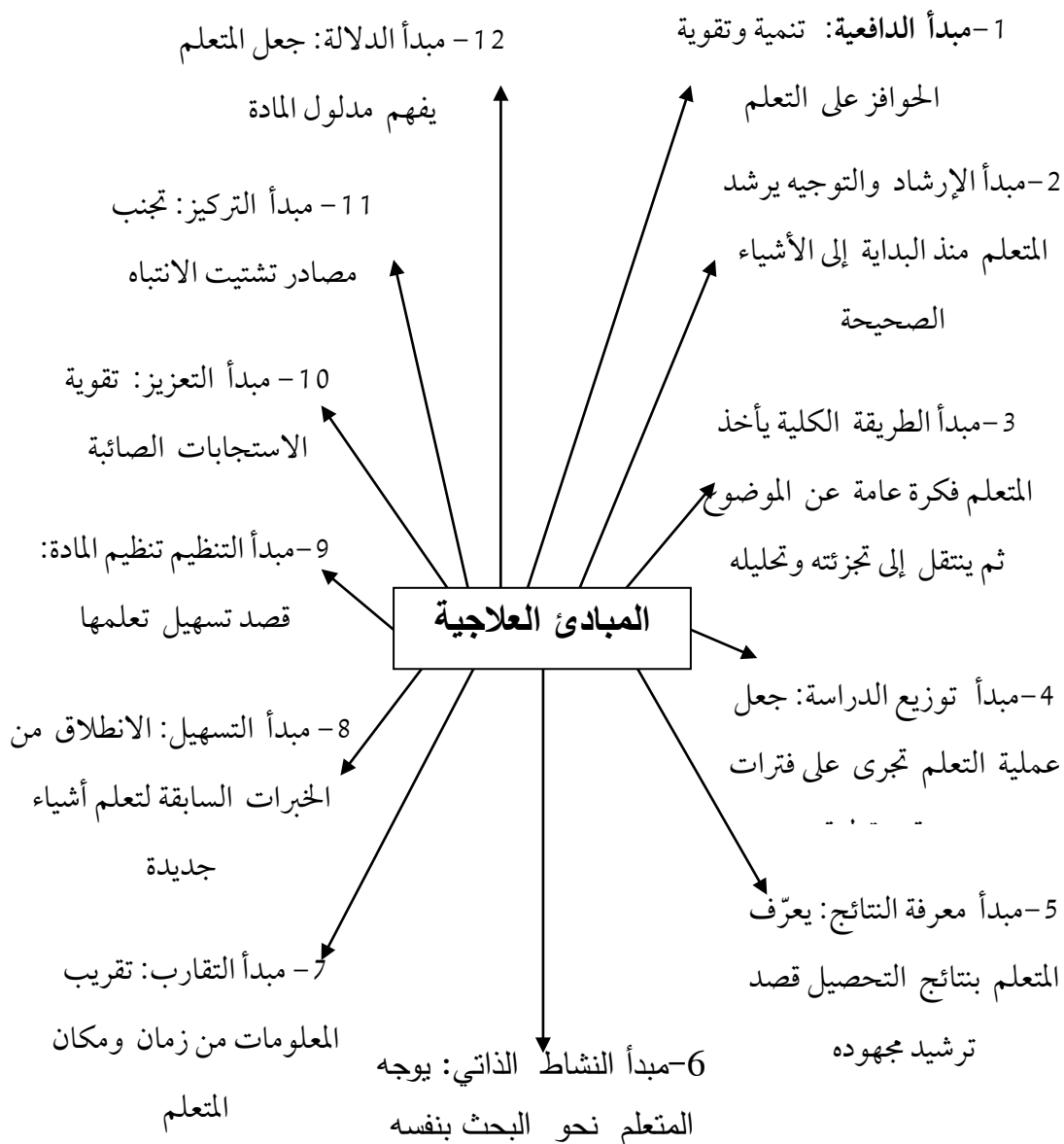
و نظرا لما لهذه البيداغوجيا من أهمية في العلاج التربوي نفرد لها فيما يلي شكلا توضيحيا يبرز منطلقاتها وتركيزاتها وغايتها :

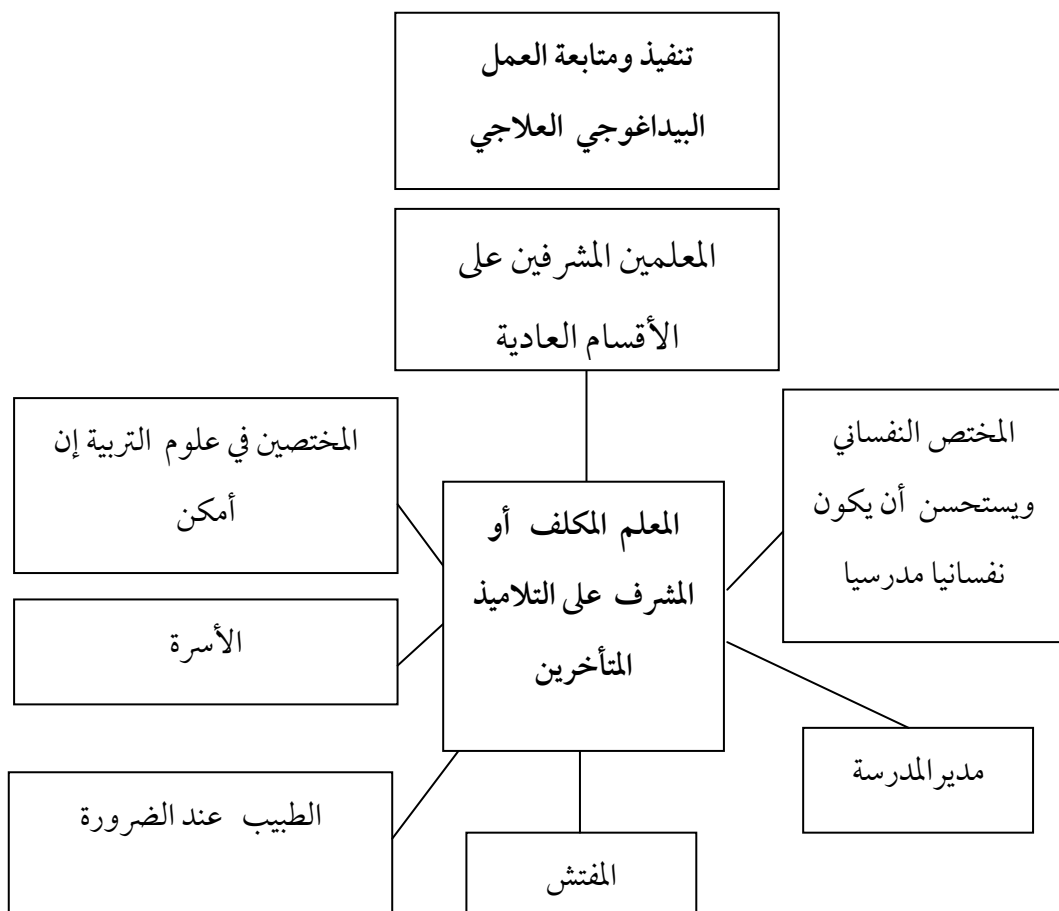


المبادئ

- 1- استبعاد تراكم الأخطاء بإتباع أسلوب الرصد والتصنيف والتحليل والمعالجة.
- 2- الجمع بين التناولات التالية: الإحصائي، الإكلينيكي، التعليمي (الديداكتيكي)

يمكن إجمال وتلخيص المبادئ العلاجية للتأخر الدراسي في الشكل التالي مع
مراعاة التسلسل والترابط:





العمل بتكامل و تظافر الجهود بين الأطراف المبينة في الشكل .

• المراجع:

- نبيل عبد الفتاح حافظ (1998): صعوبات التعلم والتعليم العلاجي - مكتبة زهراء الشرق- القاهرة.
 - أحمد أحمد عواد (1998): علم النفس التربوي وصعوبات التعلم - المكتب العلمي للنشر والتوزيع الإسكندرية.
 - حامد عبد السلام زهران (1997): الصحة النفسية والعلاج النفسي - عالم الكتب- الطبعة الثانية- القاهرة.
1. **LEMIRE AUCLAIRE (2006)** : Les Troubles d'apprentissage: Quelques mesures simples d'encadrement- revue correspondance, volume 11 N° 3 Montréal.
 2. **TARDIF, J, RESEAU, A (2000)** : L'échec scolaire en Amérique du nord : un phénomène insidieux pour un grand nombre d'enfants et d'adolescents revue française de pédagogie N° 130 Janvier, Février Mars- INRP, France.
 3. **LANGEVIN, L (1994)** : L'abandon scolaire, on ne nait pas décrocheur : Montréal: les éditions.
 4. **Ministère de l'Education nationale**, (2008-2009) sous direction des statistiques.
 5. **Vermeil, G (1996)** Les difficultés scolaires, in désordre, Rupture et échec S/D de Feger- Presse de l'université du Québec.